60 - ـ فصل : دع التصنع في الوعظ .

تأملت أشياء تجري في مجالس الوعظ يعتقدها العوام و جهال العلماء قربة و هي منكر و بعد .

و ذاك أن المقرئ يطرب و يخرج الألحان إلى الغناء و الواعظ ينشد بتطريب أشعار المجنون و ليلى فيصفق هذا و يخرق ثوبه هذا و يعتقدون أن ذلك قربة و معلوم أن هذه الألحان كالموسيقى توجب طربا للنفوس و نشوة فالتعرض بما يوجب الفساد غلط عظيم .

و ينبغي الإحتساب على الوعاظ في هذا و كذلك المقابريون منهم فإنهم يهيجون الأحزان ليكثر بكاء النساء فيعطون على ذلك الأجرة .

و لو أنهم أمروا بالصبر لم ترد النسوة ذلك و هذه أضداد للشرع .

قال ابن عقيل : [حضرنا عزاء رجل قد مات فقرأ المقرئ : { يا أسفى على يوسف } فقلت له : [هذه نياحة بالقرآن] .

و في الوعاظ من يتكلم على طريق المعرفة و المحبة فترى الحائك و السوقي الذي لا يعرف فرائض تلك الصلاة يمزق أثوابه دعوى لمحبة ا تعالى .

و الصافي حالا منهم ـ و هو أصلحهم ـ يتخايل بوهمه شخصا هو الخالق فيبكيه شوقه إليه لما يسمع من عظمته و رحمته و جماله .

و ليس ما يتخايلونه المعبود لأن المعبود لا يقع في خيال .

و بعد هذا فالتحقيق مع العوام صعب و لا يكادون ينتفعون بمر الحق إلا أن الواعظ مأمور بألا يتعدى الصواب و لا يتعرض لما يفسدهم بل يجذبهم إلى ما يصلح بألطف وجه و هذا يحتاج إلى صناعة فإن من العوام من يعجبه حسن اللفظ و منهم من يعجبه الإشارة و منهم من ينقاد ببيت من الشعر .

و أحوج الناس إلى البلاغة الواعظ ليجمع مطالبهم لكنه ينبغي أن ينظر في اللازم الواجب و أن يعطيهم من المباح في اللفظ قدر الملح في الطعام ثم يجتذبهم إلى العزائم و يعرفهم الطريق الحق .

و قد حضر أحمد بن حنبل فسمع كلام الحارث المحاسبي فبكى ثم قال : [لا يعجبني الحضور] و إنما بكى لأن الحال أوجبت البكاء .

و قد كان جماعة من السلف يرون تخليط القصاص فينهون عن الحضور عندهم .

و هذا على الإطلاق لا يحسن اليوم لأنه كان الناس في ذلك الزمان متشاغلين بالعلم فرأوا

حضور القصص صادا لهم و اليوم كثر الإعراض عن العلم فأنفع ما للعامي مجلس الوعظ يرده عن ذنب و يحركه إلى توبة و إنما الخلل في القاص فليتق ا D